مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السابع
1990 م

- واقع البحث العلمي ومشكلاته
- قصة دخول الإسلام إلى رواندا
- صورة المسيحية في دراسات غربية
- مفاهيم أساسية في فكر مالك بن نبي
- التراث الإسلامي والاستشراق

أَدْيَانْ

بقلم الأستاذ: محمد فتح الله الزيادي

جمع دين وهو من المشترك اللفظي الذي ذكرت له المعاجم معاني متعددة، لكنها مهما تباينت واختلفت فهي تؤدي معنىً عاماً هو: الانقياد والخضوع والوقوع تحت سلطان القوة المدان لها، فجميع مشتقات هذه المادة المكونة من الدال والياء والنون تؤدي هذا المعنى[1] حتى ما كان منها خارج إطار مصطلحنا هذا كقولنا: له عليَّ دين من استدان فلان أي أخذ مالاً من غيره، فهذا المعنى يفيد أن للدائن تأثيراً على المدين. ومن ذلك ما فسر به الدين من أنه العادة والشأن فهو يفيد سيطرة العادة على المتعود وعدم قدرته على التخلص منها. ذكرت المعاجم لمصطلح الدين معاني كثيرة أهمها:

1 ـ أنه بمعنى الجزاء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾[2] أي يوم الجزاء، ومنه قولهم: (كما تدين تدان).

2 ـ الخضوع والانقياد ومن ذلك: دان له أي خضع وقولهم: الدين لله أي الخضوع له.

3 ـ القانون والتشريع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾[3] أي في شريعته وقانونه، وقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾[4] أي في شريعته.

(1) معجم الصوفي/د. سعاد الحكيم/ دار ندوة بيروت/ط1، 1981م ص 475.
(2) الآية 4 من سورة الفاتحة.
(3) الآية 76 من سورة يوسف.
(4) الآية 2 من سورة النور.

4 ـ العقيدة والملة ومنه قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾[5].

5 ـ النظام الحياتي المتكامل ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾[6].

6 ـ الطريقة والعادة، ومنه كما يرى البعض قوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾[7] أي لكم طريقتكم في عبادة الله ولي طريقتي في عبادة الله[8]، ومنه أيضاً قولهم (دينه) أي عادته وطريقته.

ولفظ الدين قد يأتي متعدياً وقد يأتي لازماً وعلى ذلك يكون المدار في فهم المراد من هذا المصطلح، فإذا كان الفعل متعدياً بنفسه كقولنا (دانه ديناً) كان المعنى حكمه وملك قياده، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «الكيس من دان نفسه»[9] أي حكمها وضبطها وإذا تعدى الفعل باللام فإنه يعني الخضوع والطاعة كقولنا الدين لله، وإذا تعدى الفعل بالباء أدى معنى الاعتقاد والالتزام كقولنا دان بالإسلام أي خضع له والتزم أوامره[10] وهكذا تدور معاني هذا المصطلح تعدياً ولزوماً حول معنى الخضوع والانقياد كما ذكرت سلفاً.

أما في الاصطلاح فقد عرفه المسلمون بأنه: (وضع إلهي يدعو ذوي العقول باختيارهم إلى ما فيه صلاحهم في الحال وفلاحهم في المستقبل)[11] أو هو: (وضع إلهي يدعو أصحاب العقول قبول ما هو عند الرسول ﷺ)[12] أما الغربيون فلهم تصورات متعددة نذكر منها تعريف دوركايم الذي يقول: (الدين مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس، ولها جانبان أحدهما

---

(5) الآية 13 من سورة الشورى.
(6) الآية 85 من سورة آل عمران.
(7) الآية 6 من سورة الكافرون.
(8) محاضرات في الثقافة الإسلامية/ أحمد جمال، مطبوعات الشعب ط 1975/3م ص 33.
(9) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد
(10) الدين/ د. محمد دراز/ دار القلم ط 2 1970 م/ ص 30 وما بعدها.
(11) القاموس الإسلامي/ أحمد عطية الله/ ج 2، 1966م مكتبة النهضة المصرية/ط 1.
(12) التعريفات/ الجرجاني/ مكتبة لبنان/1985م/ص 111.

روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والآخر مادى مؤلف من الطقوس والعادات)[13]، وهناك أيضاً تعريف (كانت): (الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية)[14].

في مقابل هذه التعريفات التي لم نأت إلا على جزء يسير منها نجد بعض المراجع تتحرج من ذكر معنى ثابت للدين وتجعل ذلك أمراً عسيراً، ومن ذلك دائرة المعارف الإسلامية حيث يستهل (ماكدونالد) كلامه في مادة دين بقوله: (ذكر فقهاء اللغة من العرب في مادة دين معاني مضطربة) ورتب على ذلك أن هذا الاضطراب أوقع مفسري القرآن في مصاعب لا تنتهي[15].. وتتفق دائرة المعارف الامريكية مع هذا الرأي - وإن كان من منظور آخر - حيث ورد فيها في مفتتح الكلام عن مادة دين أنه: (ليس هناك معنى عام مقبول لمصطلح الدين لأن كل باحث يوظف هذا المصطلح بطريقته الخاصة ولأغراضه الخاصة أيضاً)[16]، وترى الموسوعة العربية الميسرة أن الدين: (اصطلاح من العسير تحديده تحديداً دقيقاً لتباين تأويله لدى كل من البدائيين وأصحاب الديانات السماوية ولاختلاف طبيعته من شخص لآخر ولاتصاله بأعمق العواطف والمعتقدات التي تدفع الإنسان نحو الكمال)[17].

ربما كان سبب بعض هذا الاضطراب هو التداخل في استعمال مصطلح الدين حيث يستعمل البعض بديلاً له مصطلح الملة أو المذهب أو الشريعة، ولكن الصحيح أن لكل من هذه مدلولاتها وإن كانت تقترب من مدلول الدين إلا أنها لا تكون بديلاً عنه أو مرادفاً له، فالدين لا يُنْسَب إلاّ إلى الله تعالى، بينما تنسب الملة إلى الرسول ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ملة أبيكم إبراهيم**﴾[18]، أما المذهب فهو ما ينسب إلى المجتهد أياً كان لون اجتهاده، والشريعة هي الجزء

---

(13) المعجم الفلسفي/د. جميل صليبا/ج 1/دار الكتاب اللبناني، 1982م ص 572.

(14) الدين/د. محمد دراز.

(15) دائرة المعارف الإسلامية/ دار المعرفة/ بيروت/ ج 9/ مادية دين.

(16) Encyclopedia Americana- VOL 23. Religion.

(17) الموسوعة العربية الميسرة/ دار الشعب ومؤسسة فرانكلين/مادة دين.

(18) الآية 78 من سورة الحج.

المادي من الدين وهو المشتمل على ما ينظم سير الحياة، ومن ذلك نرى خطأ من يقول: الأديان الإلهية على اعتبار أنها أديان متمايزة، فالدين الإلهي واحد ولكن الشرائع هي التي تختلف، والصحيح الشرائع الإلهية، وهذا المعنى هو الذي أكده القرآن حين قال: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾[19]، وفسر القرآن مصطلح الإسلام بأنه كل ما أتى به رسل الله ابتداء من آدم وانتهاء بمحمد عليهم الصلاة والسلام، فنوح يقول لقومه: ﴿**إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾[20] وإبراهيم أيضاً: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[21] ومثله موسى الذي يقول: ﴿**يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**﴾[22] ومن خلال هذا الفهم القرآني فإن الصحيح هو أن نقول: شريعة موسى وليس دين موسى لأن ذلك أمر شاركه فيه جميع الرسل ولم يختص هو إلا بالشريعة التي بلغها والتي هي إحدى صور الدين الإلهي الذي تجددت شرائعه إلى أن ختمت بالشريعة التي أتى بها محمد ﷺ والتي حملت اسم الدين الإلهي الوحيد وهو الإسلام.

وإذا كنا في سياق استعمال المصطلحات المتعلقة بالدين فإننا يجب أن ننتبه إلى خطأ آخر يستعمله الغربيون كثيراً وهو مصطلح المحمدية Mohammedanism ويعنون به الدين المحمدي، والخطأ في هذا الاستعمال هو أولاً إضافة الدين إلى الرسول والصحيح أن يضاف إلى الله، وثانياً في وضع اللاصقة ISM والتي تدل على المذهبية مثل Socialism و Copilalism وغيرها، والغرض من ذلك ـ فيما يبدو لي ـ التأكيد على أن الحقيقة الإسلامية ليست أكثر من مذهب بشري لا علاقة له بالوحي وإنما هو أمر منسوب إلى محمد.

وقبل الانتقال من تحديد المصطلح أذكر أن بعض علماء الفلسفة الحديثة

---

(19) الآية 85 من سورة آل عمران.
(20) الآية 72 من سورة يونس.
(21) الآية 132 من سورة البقرة.
(22) الآية 84 من سورة يونس.

يقسمون الدين إلى دين طبيعي Natural Religion وهو ما كان قائماً على استخدام العقل والضمير، ودين وضعي Positive Religion وهو ما كان قائماً على وحي إلهي يقبله الإنسان من الأنبياء والرسل.

هذا ويعتبر الدين حاجة ماسة للإنسان منذ أن خلق إذ لا توجد جماعة بدون دين حتى ولو كانت بدائية متخلفة، ومن هنا يأتي فهمنا للدين على أنَّه الفكرة التي يخضع لها الإنسان وتوجه سلوكه حتى وإن كانت هذه الفكرة هي اللادين أو الإلحاد مثلاً، وعلى أساس ذلك يمكن تقسيم الأديان التي شهدتها البشرية عبر تاريخها الطويل إلى الأنواع التالية:

1 ـ البدائية الدينية: وتتمثل هذه المرحلة في الاعتقاد الوثني بجميع مظاهره من تقديس أشخاص أو ظواهر طبيعية أو مصنوعات بشرية أو غير ذلك، وأهم معالم هذه المرحلة الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار والحيرة إذ يكون الإنسان الذي لم يتصل بهداية الوحي في خوف من كثير من الأمور التي حوله، وكثيراً ما كان يلتجىء إلى عبادة الأقوى، ويبين القرآن الكريم بعض ملامح هذه المرحلة حين يحكي قصة إبراهيم عليه السلام: **﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾**.

2 ـ مرحلة الديانات القومية المحدودة مثل رسالة آدم إلى أسرته وذريته، ورسالة نوح إلى قومه وهود إلى قبيلته وصالح إلى ثمود الخ..

3 ـ مرحلة الديانات الكبرى كالتوراة والإنجيل، وتتميز هذه بالعمومية المحدودة زماناً وليست محدودة مكاناً فالتوراة عامة إلى جميع البشر الذين بلغتهم دعوة موسى ـ وإن كان ظهورها في بني إسرائيل ـ ولكن عموميتها منتهية بظهور شريعة عيسى التي هي أيضاً عامة لكل البشر إلى أن ظهرت رسالة الإسلام.

4 ـ الدين الخاتم: الذي هو الإسلام والذي يتميز بالعمومية الزمانية والمكانية فهو دين لجميع البشر وعلى مختلف العصور الباقية في هذه الحياة.

هذا هو الدين بالمعنى العام أما الدين بمعناه الخاص فهو الذي يقصد به

---

(23) الآية 77 من سورة الأنعام.

الإسلام والذي يشير له القرآن كثيراً بالدين القيم والدين الحق ودين الله[24]، ولا بد لنا من التنبيه إلى الخطأ الشائع الذي يتمثل في إطلاق الدين على مسائل وضعية من نتاج الفكر البشري فهذه وإن كانت لها علاقة بالدين من حيث هي دراسة له شرحاً واستنتاجاً وتفصيلاً إلا أنَّها تُسمَّى الفكر الديني ولا تسمى الدين، فالفكر الديني كالتفسير والفقه وعلم الكلام وكل ما له صلة بهذه المباحث غير الدين الذي هو الوحي أياً كانت صورته. ومن هنا يجب أن نشير إلى الخطأ الذي وقع فيه (ماكدونالد) حين قال: (إن الدين يطلق على جميع المعارف الدينية التي تدل على ما يكتسبه الأنبياء بالوحي والأولياء بالإلهام ويتلقاه غيرهم عنهم بالعلوم الدينية تفرقة لها من العلوم العقلية)[25] فلا يمكن أن نسوي بين مكتسبات الأنبياء بالوحي ومكتسبات بقية البشر بالنظر والاستنباط وأن نجمع كل ذلك تحت مصطلح الدين.

المصادر والمراجع

لسان العرب/ابن منظور.
التعريفات/الجرجاني.
دائرة معارف/البستاني.
الموسوعة العربية الميسرة.
دائرة المعارف الإسلامية.
مجمل اللغة/ابن فارس.
القاموس الإسلامي/أحمد عطية.
علم الأديان/جيب/تر. عادل العوا.
الأصول العامة لوحدة الدين الحق/د. وهبة الزحيلي.
الدين/ وحيد الدين خان/ تر. ظفر الإسلام خان.
Encyclopedia Britanica.
Encyclopedia of Religion and Ethies.

(24) القاموس الإسلامي/ أحمد عطية الله.
(25) دائرة المعارف الإسلامية/ مادة دين.